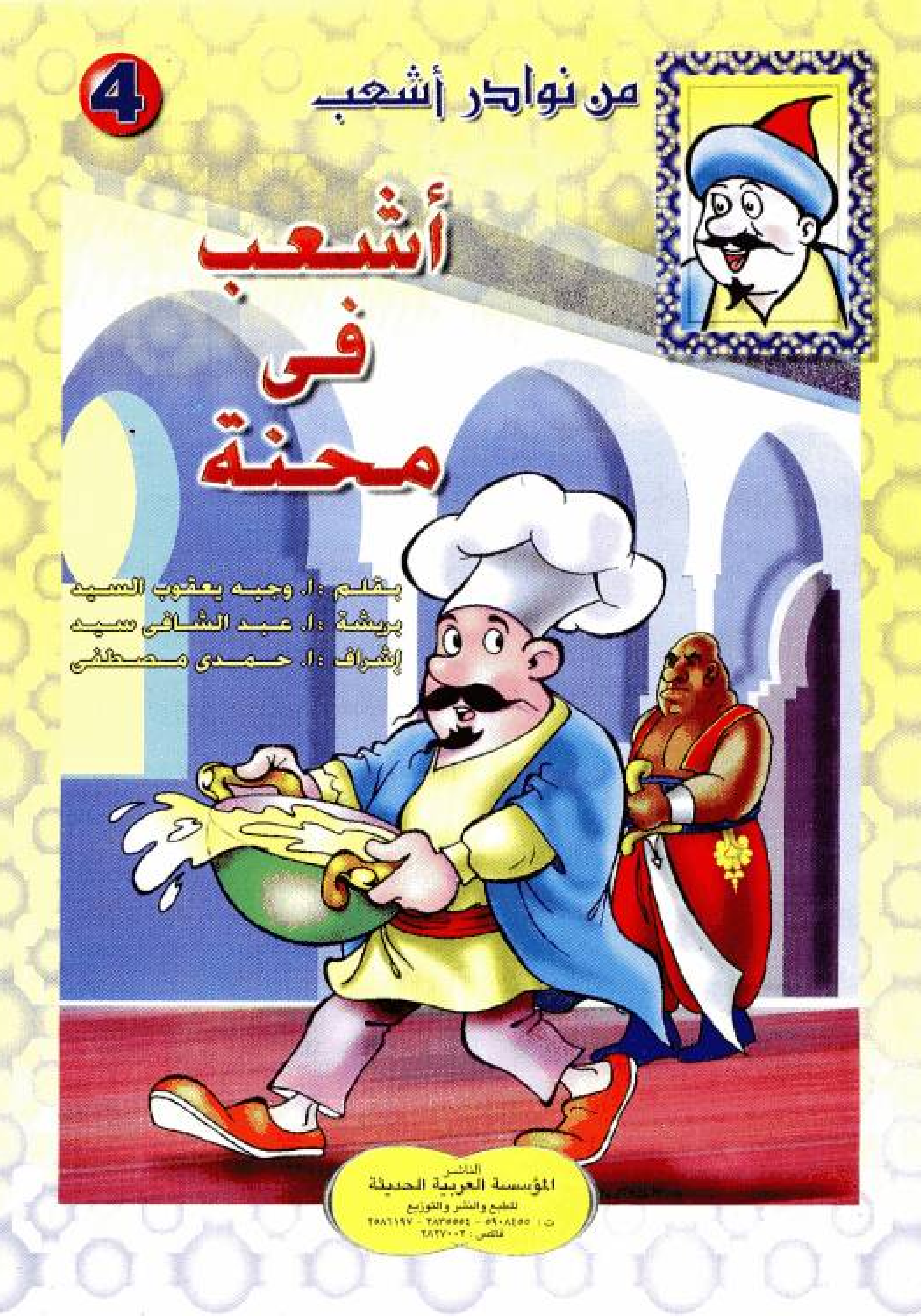

من نوادر أشعب
4
أشعب في محنة
بقلم : أ. وجيه يعقوب السيد
بريشة : أ. عبد الشافى سيد
إشراف : أ. حمدى مصطفى
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٢٨٣٧٠٠٢

من نوادر أشعب



أشْعَبُ الطَّماع

شَخْصِيَةٌ حقيقيَةٌ ، اشْتهرَت بالنَّهَم والشَّراهَةِ فى الأكْل ، يعْتبِرُهُ البعْضُ أميرَ الطُّفَيْليِّينَ بلا مُنَازِع ، حيْثُ يتسللُ إلى كلِّ مائدَةٍ أو احْتِفالٍ أو عُرْسٍ فيه طعامٌ ، دونَ أن يدْعُوَه أحدٌ أو ينْتظِرَ دَعْوَةً من أحدٍ .

وعلى الرَّغْمِ من كُلِّ هذا ، فقدْ كان أشْعَبُ شخصيَّةً مَرِحةً محْبوبَةً ، تتَّسِمُ كلُّ مواقِفه بالفُكاهَةِ والضَّحِكِ ، بسببِ ظرفه وخفَّة روحه ومواقِفهِ الظَّريفَةِ !

أشعب فى محنة

بقلم : أ.وجيه يعقوب السيد

بريشة : أ.عبد الشافى سيد

إشراف : أ.حمدى مصطفى

الناشر

المؤسسة العربية الحديثة

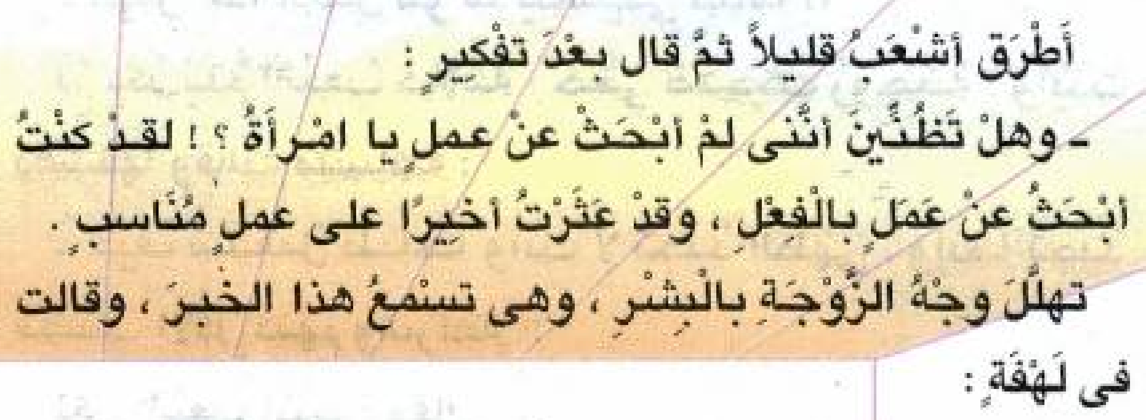
للطبع والنشر والتوزيع

عادَ أشْعَبُ الطَّمَّاعُ إلى بَيْتِهِ بعْدَ جَوْلةٍ قضَاها فى الْبَحْثِ عَنِ الوَلائِمِ ، فوجدَ زَوْجَتَهُ فى انْتِظارِه كعَادَتِها كلَّ لَيْلَةٍ ، لتُؤَنِّبَهُ على هذه الطَّريقَةِ الَّتى يَعيشُ بها حيَاتَهُ ، إذْ لَمْ يكُنْ لَهُ هَمٌّ سِوَى التَّطَفُّلِ على المَوائدِ والسَّعْىِ وراءَ الْوَلائمِ لِكَىْ يَظْفرَ بوَجْبَةٍ دَسِمةٍ ، أوْ يتصدَّقَ عليْه أحَدُ الأثْرياءِ بثَوْبٍ .

قالتِ الزَّوْجَةُ فى غَضَبٍ :

- يَنْبغى أَنْ تبْحَثَ عنْ عَمَلٍ كَريمٍ تَحْفَظُ به ماءَ وجْهِك ، بدلاً منْ هذا التَّطَفُّلِ على النَّاسِ ، والسَّعْىِ وراءَ الطَّعام فى كُلِّ مكانٍ .





أَطْرَقَ أشْعَبُ قليلاً ثُمَّ قال بعْدَ تفْكِيرٍ :

- وهلْ تَظُنِّينَ أنَّنى لمْ أبْحَثْ عنْ عملٍ يا امْرأَةُ ؟! لقدْ كنْتُ أبْحَثُ عنْ عَمَلٍ بالْفِعْلِ ، وقدْ عثَرْتُ أخِيرًا على عملٍ مُنَاسِبٍ .

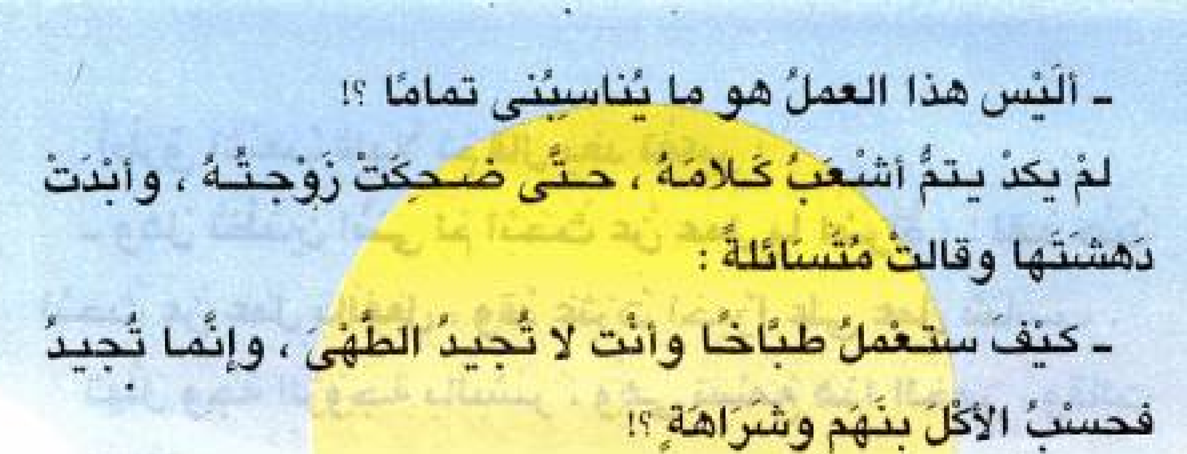
تهلَّلَ وجْهُ الزَّوْجَةِ بالْبِشْرِ ، وهى تسْمعُ هذا الخَبرَ ، وقالت فى لَهْفَةٍ :

- وماذا ستعْمَلُ بالضَّبْطِ يا أشْعَبُ ؟

فأجابَ قائلاً :

- سأعْمَلُ طَبَّاخًا فى قَصْرِ أحَدِ الوُزَرَاءِ .

ثم أضاف فى سعادة :



ـ أليْس هذا العملُ هو ما يُناسِبُني تمامًا ؟!

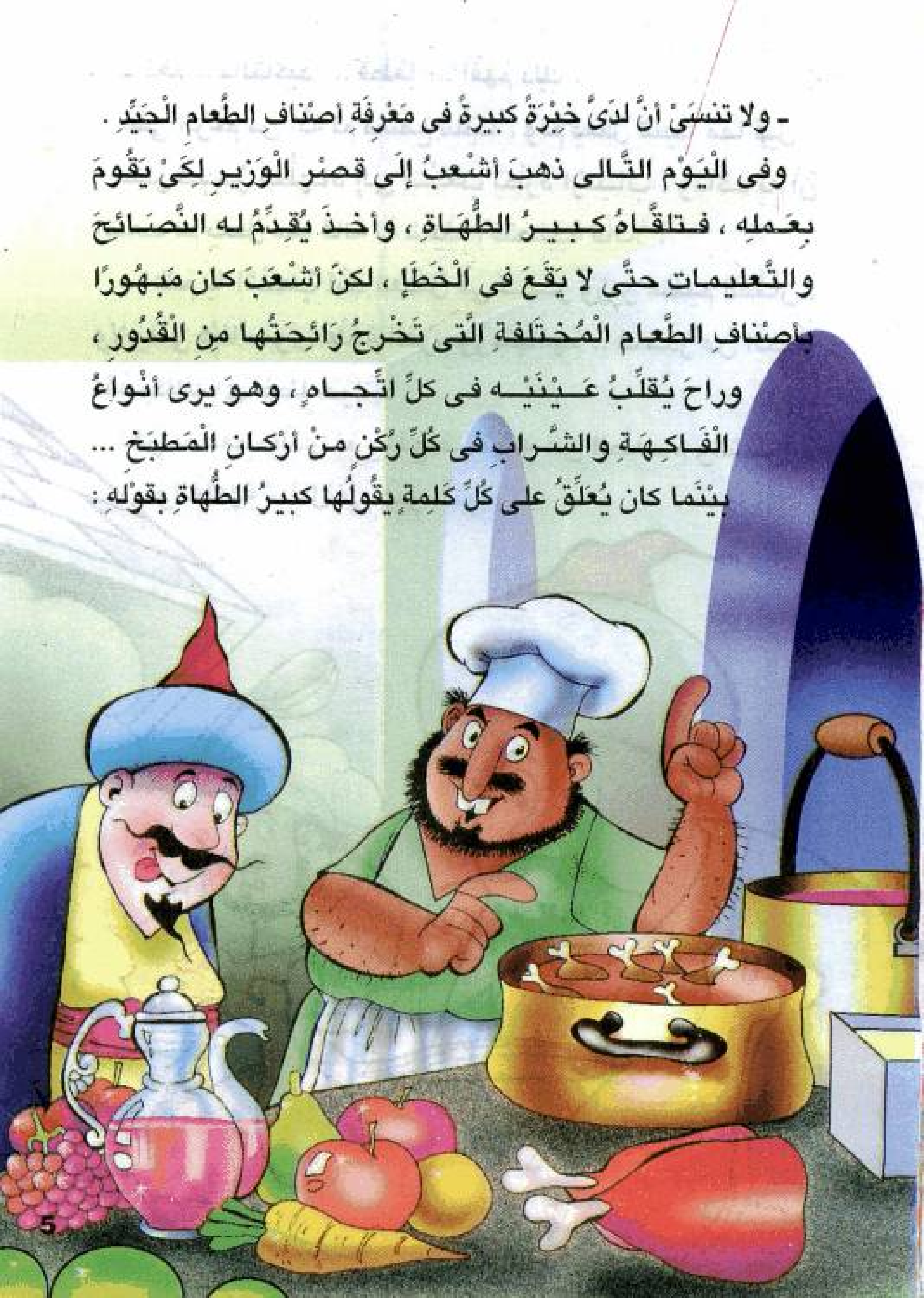
لمْ يكدْ يتمُّ أشْعَبُ كَلامَهُ ، حتَّى ضَحِكَتْ زَوْجَتُهُ ، وأبْدَتْ دَهشَتَها وقالتْ مُتَسَائلةً :

ـ كيْفَ ستعْملُ طبّاخًا وأنْت لا تُجيدُ الطَّهْيَ ، وإنَّما تُجيدُ فحسْبُ الأكْلَ بنَهَمٍ وشرَاهَةٍ ؟!

لكنَّ أشْعبَ ابْتَسمَ وقال :

ـ لا تَخافي يا امْرأةُ ، فإنَّ عَمَلي يَقْتصرُ على حَمْلِ الطَّعامِ وَتَقْديمهِ على الْمَائِدَةِ ....

ثمَّ أضافَ :



- ولا تنسَىَ أنَّ لدَىَّ خبْرَةً كبيرةً فى مَعْرفَةِ أصْنافِ الطَّعامِ الْجَيِّدِ .

وفى الْيَوْم التَّالى ذهبَ أشْعبُ إلَى قصْرِ الْوَزيرِ لِكَىْ يَقُومَ بِعَملِه ، فتلقَّاهُ كبيرُ الطُّهَاةِ ، وأخذَ يُقدِّمُ له النَّصائحَ والتَّعليماتِ حتَّى لا يَقَعَ فى الْخَطَإ ، لكنَّ أشْعَبَ كان مَبهُورًا بأصْنافِ الطَّعامِ الْمُختلفةِ الَّتى تَخْرجُ رَائِحَتُها مِنَ الْقُدُورِ ، وراحَ يُقلِّبُ عَيْنَيْه فى كلِّ اتِّجاهٍ ، وهوَ يرى أنْواعَ الْفَاكِهَةِ والشَّرابِ فى كُلِّ رُكْنٍ منْ أرْكانِ الْمَطبَخِ ... بيْنَما كان يُعلِّقُ على كُلِّ كَلِمةٍ يقُولُها كبيرُ الطُّهاةِ بقوْلِه :



- نَعَمْ .. بالتَّأْكيد ... قَطْعًا ... أَفْهَمُ ذلِك .

على الرَّغْمِ منْ أنَّهُ لم يسْمَعْ شيْئًا ، ولمْ يعْقِلْ شيْئًا ممَّا قِيل .

نظرَ كبيرُ الطُّهَاة إلى أشْعَب نَظْرَةَ ارْتِيابٍ ، وتأكَّدَ لهُ أنَّ أشْعَبَ لمْ يَعْقِلْ مِمَّا قالَهُ لهُ شيْئًا ، فنصَحهُ قائلاً :

- اعْلَمْ يا أشْعَبُ أنَّكَ تعْمَلُ في قصْرِ وَزيرٍ عظيم الشَّأْنِ ، ولا يأتي هُنا سِوَى عِلْيَةِ الْقَوْمِ وَوُجَهائِهِمْ .. فاحْذَرْ منَ الْخطإِ فقَدْ يُكلِّفُكَ أيُّ خطإٍ حَيَاتَكَ .

لكنَّ أشْعبَ الذي لمْ يَرفعْ عَيْنَيْهِ عَنِ الطَّعامِ والشَّراب والفَاكِهةِ - قال في غَيْرِ انْتِبَاهٍ :

- لا تقلَقْ فإنَّنى أعْرِفُ كيْفَ أتعامَلُ مع الْوَلائمِ والْمَوَائدِ الكُبْرَى ، فما مِنْ وَليمَةٍ فى أقْصَى البِلادِ أوْ أدْناها إلاَّ وحَضَرْتُها .

أنْهَى كبيرُ الطُّهَاةِ حَديثَهُ معَ أشْعب قائلاً :

- على أيَّةِ حالٍ ، يَجِبُ أنْ أقُولَ لكَ - لِكَيْ تأخُذَ الأمْرَ بِجديَّةٍ : إنَّ رَجُلاً كانَ يعْملُ هنا لمدَّةِ عِشْرينَ عامًا ، قد طارَتْ رقَبَتُهُ لِسببٍ بَسيطٍ للغَايَةِ .

ظهر الرُّعْبُ فَجْأةً على وجْه أشْعب ، فسأَل فى اهْتِمامٍ :

- وما هوَ هذا الْخَطأُ الَّذى قُتِلَ هذا الرَّجُلُ بِسَبَبِه :

أجابَ كَبيرُ الطُّهاةِ :

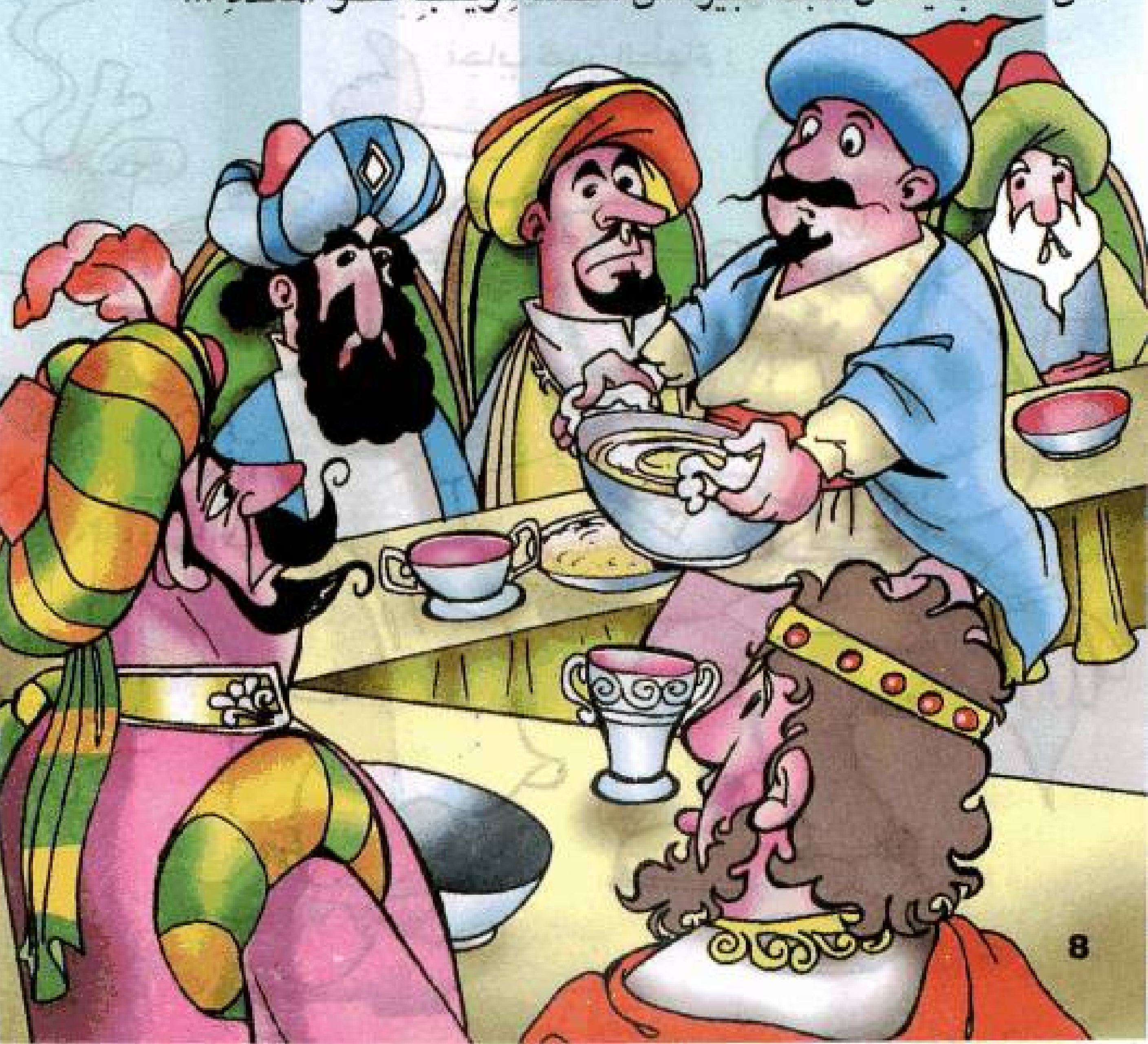


- لأنَّه تعثَّرَ فى سَيْرِهِ وهو يَحْملُ الْحَسَاءَ ، فوقعَ على كُمِّ الْوزِير قليلُ منْ هذا الحَسَاءِ ، فأمَرَ الوزِيرُ بِضَرْبِ عُنُقِهِ .

ولمْ يكدْ أشعبُ يسْمَعُ هذا الكلامَ ، حتَّى راحَ يعمَلُ فى جدٍّ ، فأخذَ ينَظِّفُ الأطْباقَ ويُعِدُّ المائِدَةَ قبلَ أنْ يَحْضُرَ الوزيرُ بِرفْقَةِ أصْدقائهِ ...

حضرَ الْوَزِيرُ هو وأصْحابُهُ على الغَداءِ ، وجلَسوا ملْتَفِّينَ حوْلَ الْمائدةِ انْتِظارًا لوضْعِ الطَّعامِ .

أشارَ الوزيرُ إلى كَبيرِ الطُّهاةِ ، وأمَرهُ بإحْضارِ الطَّعامِ ، وفى الْحالِ كانَ أشْعب يحْملُ طَبقًا كبيرًا منَ الحَسَاءِ ويتَّجِهُ نحْوَ المائدةِ ...



كان المَنْظَرُ مَهيبًا للْغاية ، فلِلْمرَّة الأولَى يقفُ أشعبُ وجْهًا لوَجْهٍ أمامَ وزيرٍ لهُ شأنٌ ومَكانَةٌ ، ويقدِّمُ الطعامَ لِذَوِى المناصبِ والثَّراء ...

لَمْ يكدْ أشْعَبُ يقْتَرِبُ منَ الْوَزيرِ حتَّى أخذَتْهُ الْهَيْبَةُ ، ودَاسَ بِرجْلَيْهِ عَلَى طَرَفِ ثَوْبِه الطَّويل ، فتعثَّرَ فوقعَ قليلٌ منَ الحَسَاءِ على كُمِّ الوَزيرِ ...

تغَيَّر شكْل الوَزير ، وعلَتْ وجْـهَـهُ حُـمْـرَةٌ شـديدَةٌ ، وراح يَنفُخُ وهو يَصيحُ :

ـ أيُّها الحرَّاسُ .. ائْتُونى بالسَّيَّافِ فى الحال ...

لكَىْ يقْطَعَ رقَبةَ هذا الأحْمَق .

سادَ الصَّمْتُ المكانَ ، ولمْ يقدِرْ أحدٌ على أنْ يتفوَّه بكلمةٍ ، فقدْ كانَ الوزيرُ مَعْروفًا بشَرِّه وعُدْوَانيَّتِه ، بَيْنما ظلَّ الوزيرُ يَصيحُ بصَوْتٍ عالٍ :

- السَّيَّافُ فى الحالِ ... قبلَ أنْ أقْطعَ رقَبتَهُ بِنَفْسِى !

تسمَّرَ أشْعبُ فى مكانِه ، ودارَت الأرْضُ به ، وأحَسَّ بِدَوارٍ شَديدٍ ، وشعَرَ كأنَّ مَلَكَ المَوْتِ يقفُ فوْقَ رأسِهِ استعْدادًا لقَبْضِ رُوحِهِ .

ومازالَ الوزير يَصيحُ ويُنادى حَتَّى دخلَ السَّيَّافُ ، وهوَ يُمْسِكُ سَيْفًا بَتَّارًا ، ووَقَفَ أمامَ الوَزيرُ وقالَ فى خَوْفٍ :



ـ أمْرُكَ يا سيِّدي ، لا تُزْعِجْ نفْسَك من أجْل أمْرٍ بَسيطٍ كهذا لنْ يسْتغْرِقَ سوَى لَحْظَةٍ ..

لكنَّ بعْضَ الحاضرينَ حاولُوا أنْ يَشفَعُوا لأشْعب ، بعدَ مَا تبيَّن لهمْ جِدِّيَّةُ الْوزيرِ ، وَعزمُهُ على قَتْلِ أشْعب ، ولكنْ دُونَ جَدْوَى ، فقدْ أَصَمَّ أُذُنَيْهِ عنْ سَماعِ كلامِهمْ ...

كانَ الوَقْتُ يَمْضي بطيئًا على أشْعب ، وكانتِ اللَّحْظَةُ كأنَّها سَنَةٌ بأكْملها ، وكلَّما نظر إلى وجْهِ الْوزيرِ الغاضِبِ عَنْ يَمينه ، وإلى السَّيَّافِ الوَاقِفِ بجوارِهِ ، امْتَلأَ قلْبُه بالرُّعْب ، وأخَذَتْهُ الشَّفَقَةُ على نَفْسِه وراحَ يُتمْتِمُ بقَوْلهِ :



- أهكذا تُساوى حياةُ الإنسانِ عِنْدَ هذا الرَّجُلِ ؟ وهلْ تطيرُ رَقَبَتِى منْ أجْلِ قليلٍ مِنَ الحسَاءِ وقعَ على كُمِّهِ ؟

لكنَّ أكْثر ماحزَّ فى نَفْسِ أشْعَبَ - إنْ هُوَ قُتِلَ - تلْكَ الوَلائِمُ التى سَيُحْرَمُ مِنْها .

لم يَسْتَمِرَّ أشعبُ فى شرُودِهِ كثيرًا ، فقد أيْقَنَ أنَّه مَقْتُولٌ لا مَحَالَةَ ، وأنَّه لا أملَ له فى النَّجاةِ منْ هذا المأزِقِ ... تقدمَ أشْعبُ خُطْوَةً منَ الوزيرِ ثمَّ سكبَ ما تَبقَّى من الحسَاءِ فوْقَ رأْسِهِ ، وسَطَ ذُهُولِ الحاضِرينَ واندِهَاشِهِمْ .



بَيْنما وقف أشعبُ هادِئًا مُطْمئنًا كأنَّ شيئًا لم يَحْدُثْ قطّ .

شعرَ الوزير بأنَّ أشعبَ قد أهانهُ بفَعْلَتِهِ تلك ، فاستَشاطَ غَضَبًا وقامَ بنفْسه حاملاً سَيْفَهُ ، وعقدَ العزْم على قَطْع رقَبتهِ .

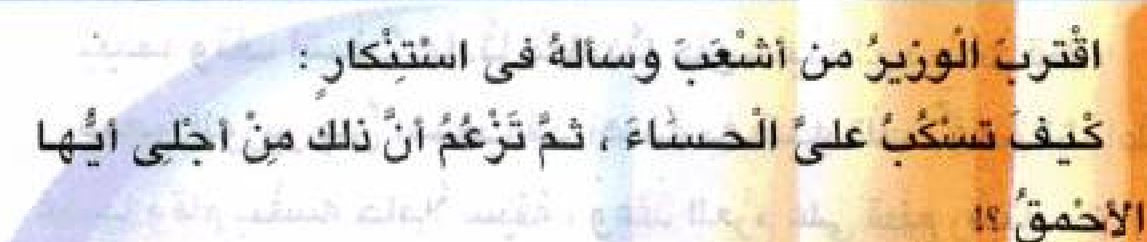
لم يَبْدُ على أشْعبَ الجزعُ ، وفى ثِقَةٍ اقْتَرَبَ منَ الوزير وقال فى هُدُوءٍ :

ـ صدِّقْنى يا مَوْلاى .... لقدْ فعلْتُ هذه الفَعْلَةَ الشَّنْعاءَ من أجلِكَ ، ولوْلا أنَّنى حريصٌ على سُمْعَتِكَ ما فَعَلْتُها أبدًا .

تعجَبَ الوزيرُ منْ كلام أشْعب ، وأخذهُ الفُضُولُ فأرادَ أنْ يَعْرفَ كَيْف يَصْنَعُ هذِه الفَعْلَةَ الشَّنْعاءَ ،

ثم يَزْعُمُ أنَّها منْ أجْلِه .





اقْتربَ الْوزيرُ من أشْعَبَ وسألهُ فى استْنِكارٍ :

كْيفَ تسكُبُ علىَّ الْحسَاءَ ، ثمَّ تزْعُمُ أنَّ ذلك مِنْ أجْلِى أيُّها الأحْمقُ ؟!

وجدَ أشْعبُ أنَّ الفُرْصةَ قدْ واتَتْهُ ، بعْدَ أنْ رأى الوزيرَ وقدْ هدأَ غضبُهُ قليلاً ، فتصنَّعَ الحِكْمةَ وقال مُتَسائِلاً :

ـ أرأيْتَ يا مَوْلاىَ ، إنْ أنْتَ ضَربْتَ عُنُقى بسَببِ قَليلٍ مِنَ الحسَاءِ وقعَ علَى كُمِّ قَميصِكَ ، كيْفَ سيقولُ النَّاسُ عنْكَ ؟ ألَنْ يقُولوا إنَّكَ ظالِمٌ لأنَّ العُقُوبَةَ لا تتناسَبُ معَ حَجْمِ الخطأِ الَّذى ارْتكبْتُهُ ؟

فكَّرَ الوزيرُ قليلاً ثمَّ قال :

ـ بلَى سيقُولون ذلكَ !



فقال أشعبُ :

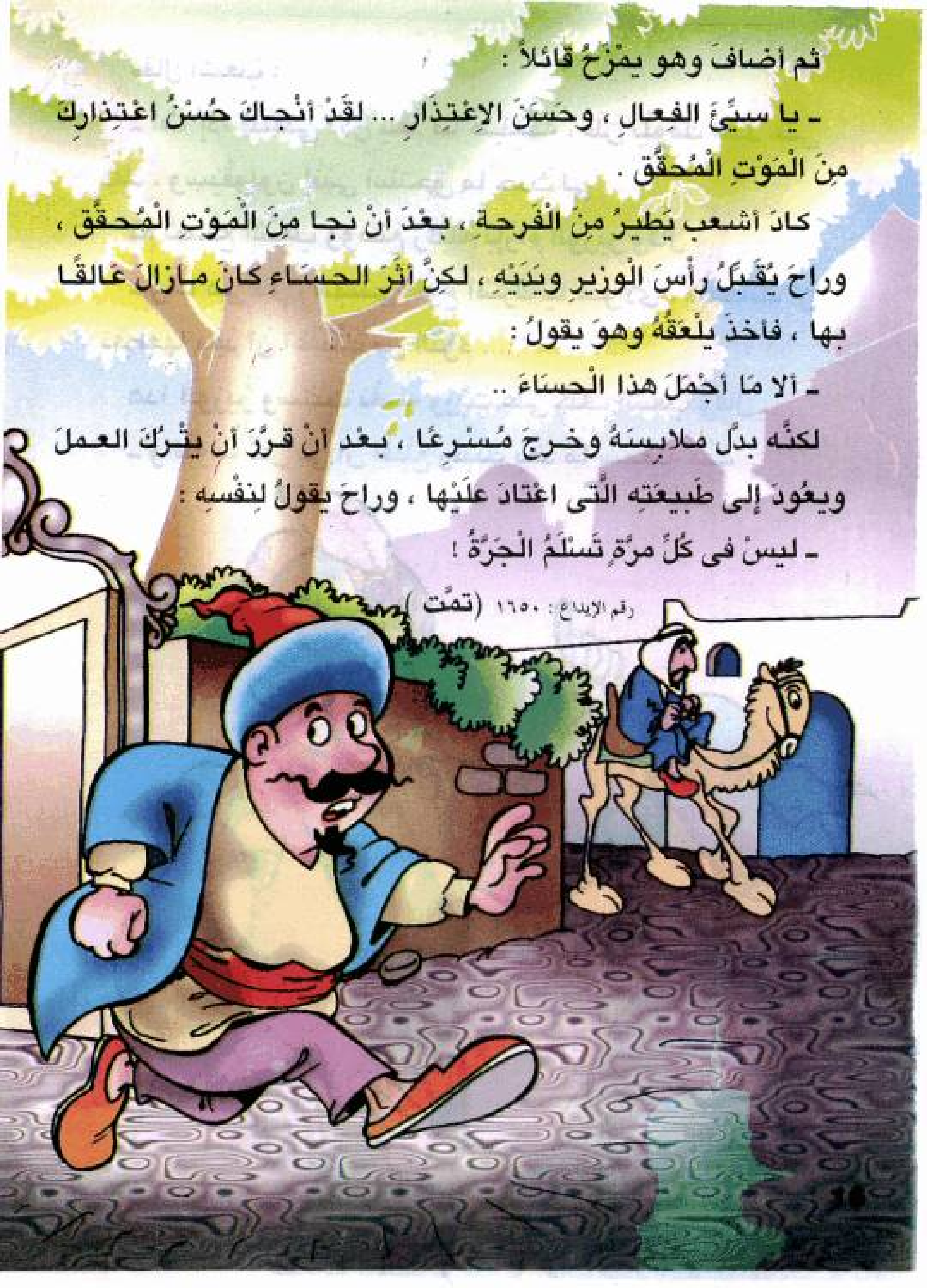
ـ أمَّا إذا قتلْتَنى الآنَ بعْدَ ما صنَعْتُهُ ، فلَنْ يلُومكَ أحَدٌ على ذلكَ ، وسيَقُولون إنَّنى استحِقُّ ما حَدَثَ لى ...

ثم تصنَّعَ أشعَبُ ووضعَ رقبَتَهُ بإزَاءِ الوزيرِ وقالَ :

ـ وها هِىَ ذى رقَبتِى طوْعَ أمْرِكَ يا مَوْلاىَ ، بإمْكانِكَ أنْ تقْطعها بعْدَ أنْ أعفَيْتُكَ مِنَ اللَّوْم ...

هدأَ الوزيرُ وسكَنَتْ نفْسُه وربَّتَ على كَتِفِ أشعبَ وقال :

ـ واللَّهِ ما كان لى أنْ أقْطعَ رقبَتكَ بعْدَ ما سَمِعْتُه مِنْكَ .



ثم أضافَ وهو يمزحُ قائلاً :

ـ يا سيِّئَ الفِعالِ ، وحَسَنَ الاعْتِذَارِ ... لقَدْ أنْجاكَ حُسْنُ اعْتِذارِكَ مِنَ الْمَوْتِ الْمُحقَّق .

كادَ أشعبُ يَطيرُ مِنَ الفَرحةِ ، بعْدَ أنْ نجا مِنَ الْمَوْتِ الْمُحقَّق ، وراحَ يُقَبِّلُ رأسَ الْوزيرِ ويدَيْه ، لكنَّ أثرَ الحسَاءِ كانَ مازالَ عَالقًا بها ، فأخذَ يلْعَقُهُ وهوَ يقولُ :

ـ ألا مَا أجْمَلَ هذا الْحسَاءَ ..

لكنَّه بدلَّ ملابِسَهُ وخرجَ مُسْرِعًا ، بعْدَ أنْ قررَ أنْ يتْرُكَ العملَ ويعُودَ إلى طَبيعَتِه الَّتى اعْتادَ علَيْها ، وراحَ يقولُ لِنفْسِه :

ـ ليسْ فى كُلِّ مرَّةٍ تَسْلَمُ الْجَرَّةُ !

(تمَّت)

رقم الإيداع : ١٦٥٠